أما أهل النار : « ألا أخبركم بأهل النار ؟ كلُّ عُتُلٍّ جوَّاظٍ مُستكبر » .

ثم يأتي التشجيع على التواضع بصورة من مشاهد يوم القيامة ، ينقلها لنا رسول الله ﷺ : « احتجَّت الجنة والنار ، فقالت النار : فيَّ الجبارون والمتكبرون ، وقالت الجنة : فيَّ ضعفاء الناس ومساكينهم ، فقضى الله بينهما : إنك الجنة رحمتي ، أرحم بك من أشاء ، وإنك النار عذابي أعذِّب بك من أشاء ، ولكليكما عليَّ ملؤها »[1] .

* * *

من مدارج السالكين :

قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله في مدارج السالكين :

في كتاب الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾ [المؤمنون : ٥١] .

وقوله تعالى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ﴾ [المدثر : ٤] .

وعلَّق (قتادة) و (مجاهد) رحمهما الله على ذلك بقولهما : نفسك فطهِّرها من الذَّنب ، فكنَّى عن النفس بالثَّوب ، وهذا قول (إبراهيم النخعي) و (الشعبي) و (الزهري) والمحققين من أهل التفسير ، قال (ابن عباس) رضي الله عنهما : لا تلبسها على معصية ولا غدر ، ثم قال : سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفي :

وإني بحمد الله لا ثوب غادر لبستُ ولا من غدرةٍ أتقنَّعُ

والمقصود من ذلك : أن الورع يُطهِّر دنس القلب ونجاسته ، كما يُطهِّر الماء دنس الثوب ونجاسته ، وبين القلوب والثياب مناسبة ظاهرة

---

(١) متفق عليه ، والعُتُلُّ : الغليظ الجافي ، والجواظ : الضخم المختال في مشيته .

وباطنة ، ولذلك تدلُّ ثياب المرء في المنام على قلبه وأحواله ، ويؤثر كل منهما في الآخر . لذا نهى الإسلام الحنيف عن لباس الحرير والذهب وجلود السباع ، لما تؤثر في القلب من الهيئة المنافية للعبودية والخشوع .

وتأثير القلب والنفس في الثياب أمر خفيٌّ يعرفه أهل البصائر من نظافتها ودنسها ورائحتها وبهجتها ، حتى إن ثوب البر ليُعرف من ثوب الفاجر وليسا عليهما! .

ثم يقول ابن قيم رحمه الله :

وقد جمع النَّبي ﷺ الورع كله في كلمة واحدة فقال :

« من حُسْنِ إسلام المرء تركه ما لا يعنيه »[1] .

فهذا يعمُّ الترك لما لا يعني من الكلام والنظر والاستمتاع والبطش والمشي والفكر وسائر الحركات الظاهرة والباطنة ، فهذه الكلمة كافية شافية في الورع ، ثم يقول ابن القيم : الورع هو توقٌّ مستقصى على حذر ، وتحرُّج على تعظيم .

* * *

ما هي مضار الهوى ؟

١ـ يؤدي إلى التنازع بين الإخوة ، ويزيد في الخلافات ثم يؤدي إلى تحوُّل الخلاف في الرأي إلى خلافٍ بين القلوب ، وهذا ما عبَّر عنه أحد العارفين العاملين : ليس الذي يثير النزاع هو اختلاف وجهات النظر ، إنما هو الهوى الذي يجعل كل صاحب وجهة يُصرُّ عليها مهما تبيَّن له

---

(١) رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد وأبو الشيخ والبيهقي .